تفسير ابن كثير

يقول تعالى ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات ا ويجادلون في الحق بالباطل كيف تصرف عقولهم عن الهدى إلى الضلال { الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا } أي من الهدى والبيان { فسوف يعلمون } هذا تهديد شديد ووعيد أكيد من الرب جل جلاله لهؤلاء كما قال تعالى : { ويل يومئذ للمكذبين } وقوله D : { إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل } أي متصلة بالأغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم ولهذا قال تعالى : { يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون } كما قال تبارك وتعالى : { هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن } وقال تعالى بعد ذكر أكلهم الزقوم وشربهم الحميم : { وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم * إنهم كانوا قبل ذلك مترفين * وكانوا يصرون على الحنث العظيم * وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون * قل إن الأولين والآخرين * لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم * ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون * فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم * هذا نزلهم يوم الدين } وقال D : { إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم * كالمهل يغلي في البطون * كغلي الحميم * خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم * ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون } أي يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتحقير والتصغير والتهكم والاستهزاء بهم قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن منيع حدثنا منصور بن عمار حدثنا بشير بن طلحة الخزامي عن خالد بن دريك عن يعلى بن منبه رفع الحديث إلى رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : [ينشىء ا D سحابة لأهل النار سوداء مظلمة ويقال يا أهل النار أي شيء تطلبون ؟ فيذكرون بها سحاب الدنيا فيقولون نسأل بارد الشراب فتمطرهم أغلالا تزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمرا يلهب النار عليهم] هذا حديث غريب وقوله تعالى : { ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون * من دون ا } أي قيل لهم أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون ا هل ينصرونكم اليوم { قالوا ضلوا عنا } أي ذهبوا فلم ينفعونا { بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا } أي جحدوا عبادتهم كقوله جلت عظمته : { ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وا ربنا ما كنا مشركين } ولهذا قال D : { كذلك يضل ا الكافرين } وقوله : { ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون } أي تقول لهم الملائكة هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير حق ومرحكم وأشركم وبطركم { ادخلوا أبواب

جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين } أي فبئس المنزل والمقيل الذي فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات ا واتباع دلائله وحججه وا أعلم